رواية

واقعة الحما

احدى وقايع الجيش العربي

تأليف

احد ضباط الجيش

محمد امين الكيلاني

طبعت بعناية ونفقة المكتبة العربية لصاحبها
محمد صبحي البصمه جي في حلب

المطبعة المارونية — حلب سنة ١٩١٩

رواية

واقعة الحسا

احدى وقايع الجيش العربي

تأليف

احد ضباط الجيش

محمد امين الكيلاني

طبعت بعناية ونفقة المكتبة العربية لصاحبها

محمد صبحي اليصمهجي في حلب

المطبعة المارونية في حلب

١

تلك شيمة ورثتها عن امي

كان البكباشي جميل بك جالسا في غرفة في محطة القطرانة وبنده لفيف من ضباطه يتحادثون بأمور شتى وامامهم اقداح الخمر مترعة وقد عملت برؤوسهم عملها فنهض احدهم وتناول عودا كان معلقا في الجدار وبدأ يوقع انغاما لطيفة مهيجة وقام بعضهم يرقص على نغمات الخانه المطربة .

وكان بينهم ضابط طويل القامة نحيف البنية اسود العينين لم يشارك القوم في حديثهم وشربهم وانشراحهم بل كانت تلوح عليه امارات التفكر وفروغ الصبر وكان من حين الى آخر يطل من النافذة كانه ينتظر قدوم شخص يهمه ثم يلتفت رويدا رويدا مقطب الحاجبين تتموج في عينيه امارات الغيظ والحنق .

— علي افندي ما بالك متفكرا مغموما لا تشارك رفقائك في انبساطهم منقبض النفس فهل اتاك مكتوب من اسرتك ينبئك بخبر مكدر

وكان الذي يتكلم هو جميل بك فتغلب حينئذ علي افندي على عواطفه وتبسم تبسما متعملا وقال كلا يا سيدي لم يكن شيء من ذلك ولكن حضرتك تعرف انني احب الافتكار كثيرا

— ولكن ليس هذا وقته

— الحق كذلك ولكن كيف يمكن ان اغير طبيعتي

— شي غريب
— هكذا انا يا سيدي .
— ولكني كنت اسمع ان العرب يعشقون الطرب ويميلون الى كثرة الكلام والضحك واللعب
. فتبسم علي افندي وقال وهل تظنني مستثنى منهم يا سيدي
— ان صدق ذلك القول فهكذا يكون
— ربما
وكان الحاضرون قد قطعوا انشودتهم وجلسوا يستمعون الحديث الجاري، فقال احدهم مقهقها وهو يتلعثم من السكر
— بل يجب ان تدري والا اضطررتك الى الكلام
فأحمر وجه علي افندي من الغيظ وقال بصوت متهدج
— لو لم تكن سكران لعرفتك طريقة حسن السلوك
فتداخل ضابط قصير القامة في الحديث وقال مخاطبا علي افندي
انما نعرف ما تقول عنه اكثر منك يا حضرة البك
وقال ضابط آخر يسمى انور افندي
— ومن امثالك ايضا
فهب الضابط علي افندي من مكانه وهو يهتز الغضب وقال مخاطبا الجميع
— كل شيء يمكن ان تتكلموا به الا التطرف لامتهان الامة ، وفي وسعي ان اجيبكم عن قولكم ولكني اضرب عن ذلك كرما واباء

وتلك شيمة ورثتها عن امتي .

ورأى جميل بك حينئذ وجوب التداخل بينهم لئلا يفرط منهم امر تسوء مغبته فنهض من مكانه ووضع يده على كتف علي افندي وقال له بلهجة حبية !

— علي افندي علي افندي ارجوك أن لا تواخذهم على ما يتنوهون به فهم سكارى لا يعون ما يقولون ، وسيعتذرون اليك متى صحوا من سكرتهم

— سيدي ان هذا لا يطاق

— انهم لا يفقهون الآن معنى ما يتكلمون ، الا تراهم لا يقوون على الوقوف . اذهب يا صديقي الى خيمتك وروح عن نفسك قليلا وسكن ثورة غضبك

فخرج علي افندي من الغرفة . وهو يهدر هدير الفحل والتفت اذ ذاك جميل بك اليهم وقال لهم ما كان ينبغي ان تظهروا كل هذا فأجابه احدهم

— انه يا سيدي لم يشاركنا في شربنا لكرهه وشدة بغضه ايانا وقال الآخر

— او بالحري للعنصر التركي بأجمعه

فقال جميل بك لا ننكر ذلك ولكن لنكن عقلاء .

ثم ارفض الجمع وذهب كل الى خيمته

. . .

دخل علي افندي خيمته وانطرح على سريره حزين النفس منكسر القلب وقد ذرفت عيناه بالدموع فجعل يبكي بكاء مرا .

ولما هدأ روعه وسكن جأشه استرسل في رياض الفكر وساح في عالم الخيال . فتمثل له جيش عربي يتمرن والاعلام العربية تخفق فوق رأسه واصوات الضباط ترن بلغتها المعزية وتمثل له سمو الامير فيصل واقفا يشاهد حركات الجند من بعد وهو يبتسم فرحا وابتهاجا وقد مد يده نحو سوريا وقال :

سوريا اطمئني أن غدا لناظره قريب هذه ابنائك انت الى هذه البقعة المقفرة ملبية ندائك وعما قليل يحين يوم انقاذك يا سوريا .

واذ ذاك علا صوت احد الضباط يشتم جنديا فأفاق من غفلته وقد تنبهت شعائره الوطنية وهاجت حسياته الملية فأمسك القلم بيده وجعل يكتب :

يا وطني

فوق تربتك الطيبة خلقت ومن مياهك العذبة شربت ومن هوائك البذيل انتشقت وفي خمائلك السندسية نشأت يا وطني سلام على امتك العربية سلام على دولتك الاموية سلام على تاريخك المملوء بالمفاخر العالية وبالمجد والشرف سلام على ايامك المرضية وسلام على زمن كنت فيه مصدر سياسة الكرة الارضية يا وطني .

ربيتني صغيرا وهذبتني كبيرا وسقيتني من بحر علومك وبصرتني بنور ادابك وارحتني طفلا ومراهقا وشابا افلا اتعب من اجلك يوما

يا وطني

حكموك فظلموك وقهروك فأذلوك وجاروا عليك فأوهنوك وقسطوا فيك فأرهقوك واجمعوا امرهم ليعدموك وانت صابر ياوطني

ويلاه من يوم شاهدت دمشق فلذات كبدها تتراوح في الفضاء وتتلاعب بها الأهواء واجبرت على ان تبتسم

ويلاه من يوم رأت دمشق ابنائها هلكى في سبيلها ولم يمكنها ان تنتقم

ويلاه من ساعة بكت بيروت فيها رجالها وناحت سورية على ابطالها وانكسفت شمسها وانخسف هلالها حتى رثى لها المشرقان والمغربان فكم جار عليك الزمان يا وطني

ايتها السماء الا تسمعين اصوات الأطفال والشيوخ والنساء مستغيثة من الجوع اولا تسمعين انين المظلومين المقهورين ام كل شيء اصم اذنه عن سماع صوتك حتى السماء يا وطني

اتعيش من خيراتك الملايين وتعمر من اموالك الاقاليم وابنائك يتضورون جوعاً وانت خراب يباب يا وطني

ولكن ماذا ارى ؟ ؟

شمسا من الجنوب مشرقة وضاحة تنتقل في بروج عظمتها متجهة نحوك ومقبلة اليك لتنير ظلمتك يا وطني

مهندا مصلتا في يد حديدية تضرب به قيود الاسر فتحطمها وسجون العبودية فتدمرها واوهاق الرق فتقطعها وقد وقف اليوم على ابوابك يا وطني

علما مربع الالوان يذكرنا بتاريخ اجدادنا العظام وبعظمة دول بني قحطان وبكرم سجايا بني عدنان وسيظللك بجناح عدله وحنانه يا وطني

جيشا عرمرما من العرب ارسله حسين ملك العرب يقوده فيصل بطل العرب وقد اقسموا بشرف العرب وبمجد العرب على ان ينقذوك او يموتوا في سبيلك يا وطني .

...

٣

في منتصف الليل

جلس على افندي في خيمته مفكرا ومن حين الى آخر كان يطل راسه من باب الخيمة وينصت حينا ثم يعود وعلائم القلق والحيرة تتموج على جبهته .

وبقي كذلك الى منتصف الليل وحينئذ هز رأسه يائسا وقال اتراه لن يعود ثم ابتدأ يخلع ثيابه واذا برجل دخل على الخيمة بدون استئذان . كان عظيم الجثة كبير الرأس ذا منظر هائل مهيب مرتديا ملابس بدوية رثة وفي يده بندقية المانية وهو يلعب بها كما يلعب الكاتب بقلم الرصاص

فصاح علي افندي عند رؤيته صيحة فرح وقال لقد اطلت غيابك كثيرا يا جدعان حتى يأست اليوم من عودتك .

— اصيب منسم ناقتي فلم تستطيع السير الحثيث . ولذلك تأخرت قليلا

— لا بأس ولكن قل لي هل اوصلت الرسالة

— كلا لان وادي الحسا ليس فيه من جيش الشريف احد

— ابدا ؟

— ابدا

— يا للعجب

— ولكنني سمعت انه ستأتي قوة اليه عما قريب

— ولكن متى

— يقولون بعد خمسة او ستة ايام

— ولكنا نكون قد وصلنا حينئذ الى الفريفره

— وماذا يضر

— انك لم تفهم غايتي من الرسالة

— كلا

— كتبت لهم اعلمهم بحركتنا غدا في الساعة العاشرة الى الفريفره واوصيتهم بأن ينسفوا القطار بالديناميت فأذا وصلنا الفريفره لايعود يمكن اجراء هذا العمل .

— ينسفون القطار بالديناميت لم افهم معنى كلامك

فتبسم علي افندي من بساطة البدوي وقال الا تعرف القطار

— كلا

— الا تراه كل يوم يمشي على الخط نافثا الدخان يجر ورائه كثيرا من العربات .

. هذا الذي تقول عنه هو جحش السلطان

ــ القطار هو جحش السلطان

ــ والدناموت

ــ هو كالواح الصابون حجما واشد منها بياضا اذا انفجر في بناء هدمه او في قطار كسره

ــ يا للشيطان

ورأى علي افندي دهشة البدوي فاحب ان يزيدها فقال له واذا انفجر منه لوحان او ثلاثة مما تخرب نصف الدنيا

ــ يا للداهية حمانا الله من هذا البلاء وجعل النصف الذي ينهدم غير النصف الذي نحن فيه

فقهقه علي افندي ضاحكا ثم اخرج من جيبه جنيهين واعطاهما للبدوي وقال له هذه تكون على الحساب وسأعطيك غيرها في الفريفرة ولكن احرص كل الحرص على ان لا يراك احد

ــ كن مطمئنا من هذه الجهة فلن يراني الشيطان فضلا عن الانسان

ثم خرج البدوي من الخيمة واضطجع علي افندي على سريره

• • •

لن اعود خاليا

ابتعد البدوي عن المعسكر الى حيث كان عقل ناقته فلم يجدها فطار صوابه وذهب عقله وقال أأفقد الناقة واعود الى عشيرتي ماشيا ان كنت في تجارتي هذه الا لمن الخاسرين

ثم طفق يفتش عليها و ينادي صبحة صبحة اين انت يا صبحة ، لعن الله اباك يا صبحة ولكن لما آيس من العثور عليها جلس مفكرا حزينا .

ثم تمثل نفسه سائرا على قدميه وقد وصل الى عشيرته فسألوه اين هي ناقتك يا جدعان ولما عرفوا المسئلة قاموا اليه فضربوه وسبوه وشتموه وقالوا له من اجل جنيهين ضيعت الناقة يا محلوق الدقن ثم تمثلت له محبوبته شمطا غضبانة عليه وقد دخل عليها فمسكته على رقبته بيدها ورفسته برجلها وقالت له لا ارضى بك زوجا لي بعد ان سرقت ناقتك وذهب مالك واصبحت فقيرا لا تملك جحشة ولا بعيرا .

فأسودت الدنيا في عينيه وقال ما قعودي هنا اقضي الليل بالافتكار فأني لن اعود خاليا ابدا .

ثم انه تقلد بندقيته ودرج نحو المحطة ولما قرب من مربط الخيل استلقى على الارض وجعل يميز الخيل واحدة فواحدة الى ان رأى جوادا اشهب عظيم الجثة فقال هذا . ثم اخذ يحبو على اربعته متقربا نحو الجواد فصهل الحصان اذ رآه ثم نفخ وضم اذنيه .

واذا بالحارس اتى بقليل من التبن فوضعه امام الحصان وقد ظن انه صهل لجوعه وقال خذه سما قاتلا تأكل في اليوم ستة كيلويات شعيرا ثم تصيح الان فنقدم لك العلف ونحن نأكل في اليوم ثلاثمائة وخمسين غراما من الحنطة ومتى استغثنا من الم الجوع اكلنا عشرين

ضربة فيا ليت ان الله خلقنا مثلكم حيوانات

وصهل حصان اخر فترك الحارس مكانه وذهب شاتما صاخبا .
وحينئذ اقترب جدعان بخفة من الحصان وحل رباطه ثم اعتلا صهوته ونادى لعينيك يا شمطا وانا ابو مسلوب وما شعر الجواد بهمز خاصرتيه حتى ذهب كالنسيم يسابق الرياح جريا وبدأ الخفراء يطلقون الرصاص ولكن جدعان افات وله حصاص .

. . .

٣

في الليلة الثانية من شهر شعبان سنة ١٣٣٦ كانت مفرزة من الجيش العربي متهيأة للحركة تنتظر امر قائدها بالمسير .

وكان القائد شابا ربع القامة ممتلئ الجسم ابيض اللون جميل الطلعة يدعى السيد راسم . وكان هذا الشاب الغيور قد التحق بالجيش العربي من اول ابتداء الثورة المباركة . وبشرف وجد كان يخدم امته وهو قائد المدفعية في الجيش الشمالي . وقد نال في عهد روايتنا رتبة القائمقام وانه بالحق يقال شاب تفتخر الامة بجيد اعماله اكثر الله من امثاله .

وكان السيد راسم جالسا في خيمة السيد نوري رئيس اركان حرب الجيش فقال له السيد نوري ان وظيفتكم تعجيز الاتراك وتدمير المحجة الحديدية وان سمح الوقت لكم فانتم اعقل من ان تضيعوه سدى .

فاجابه السيد راسم مازحا :

— نحن سائرون بعد ساعة . وبعد اربعة ايام نكون في وادي الحسا .

وانتظر يومين آخرين واسمع بأفعالنا

— انني واثق من الظفر بعون الله .

ثم ان السيد راسم ودعه واسرع الى مفرزته فأمرها بالركوب .

وكانت هذه المفرزة مكونة من رهطين من الهجانة ورهط رشاش ثقيل ومدفعين جبليين ومفرزة تخريب ونقلية .

سارت المفرزة تطوي الفدافد في جنح الظلام وقد اجتمع ضباط المفرزة حول السيد راسم واخذوا يتجاذبون اطراف الحديث فقال لهم لا ريب بأننا سنقضي حياة هادئـة في وادي الحسا وقد كنت ذهبت اليه حينما كنت في التموينة فرأيته والله جنة لمن الف هـذه الصحاري القاحلة التي لا شجر فيها ولا نبات . فأرضه مفروشة ببساط زمردي وفيه كثير من اشجار الدفل وعيون مياه عديدة لا ينضب ماؤها صيفا ولا شتاء .

فقال السيد عبد الهادي وكان ضابط نقلية المفرزة لقد احسنت اذن باستصحاب مقدار وافر من التنباك معي لانني لا استطيع ان اترك نرجيلتي دقيقة واحدة في مثل هذا المكان .

فقهقه الجميع لهذه النكتة التي صادفت محلها .

وكان السيد عبد الهادي شابا طويل القامـة عريض الكتفين اصفر اللون قليلا وهو تمثال الحلم واللطف وكثيرا ما كان رفقائه

يتعمدون اساءته ليغضب ولكنهم كانوا يخفقون في مسعاهم حتى انهم القوه مرة وهو يقص عليهم قصة في بحيرة عميقة من الماء بجميع ثيابه وكاد يغرق اذ لا يعرف العوم ولما انقذوه لم يتفوه بغير كلمة لعنة الله عليكم ثم بدل ملابسه وعاد الى اتمام حديثه كأن لم يجر بينهم شيء

وكان مولعا بشرب النرجيلة جدا وبه يضرب المثل في الجيش ومن غرائبه انه كان في جبهة غزه الحربية جالسا في خيمته يدخن بنرجيلته فهجم الجيش الانكليزي واحتل مواقع الاتراك واحاط بهم وكانت الموقعة هائلة جدا واصوات المدافع والبنادق تملأ الفضاء دويا ورعدا فدخل خادمه وقال له ان جنودنا هربت وعما قليل تصل الانكليز الى خيمتك فهلم بنا نهرب يا سيدي . فلم يعبأ بكلامه وبقي يدخن حتى دخلت الجنود الانكليزية خيمته واخذوه اسيرا فأمر خادمه ان يحمل النرجيلة معه وهكذا ذهب بها الى مصر وتطوع في الجيش العربي مستصحبا نرجيلته ايضا .

فقال له السيد صبحي العمري ان لم احطمها لك فلست بابن العمري فاجابه ان معي ثلاث نرجيلات غيرها احداهن من نحاس

وكان السيد صبحي العمري شابا يلتهب ذكاء وغيرة طويل القامة حنطي اللون مشربا بحمرة شفافة يحب المزاح كثيرا وكان قد جرح في جبهة غزه حينما كان في الجيش التركي ومنها رجع الى الشام ثم الى الهيشة احدى المواقع التركية في الجبهة العربية ومن هنالك فر مع احد البدو الى الجيش العربي

واذ كان سائرا معه في الطريق صادفهما زمرة من البدو فأوقفوهما وسألوهما عن وجهتهما فقال لهم اني فررت من الجيش التركي لالتحق بالشريف فقال له احدهم انك رومي بدون ريب لان عينيك زرقاويتان فاخلع ثيابك او نقتلك . وهكذا وصل الى الجيش العربي لابسا سروالا حافيا مكشوف الرأس .

. . .

سارت المفرزة يومين وفي اليوم الثالث وصلوا التوينه وهي واد عظيم جباله تشرف على محطة جرف الدراويش وفيه ثلاثة آبار عميقة فلما حطوا رحالهم فيه قال السيد راسم في هذا الوادي كنا نائمين منذ اربعة اشهر وكان معي اربعين جنديا ورشاشة واحدة ولما بزغ الفجر سمعت طلقا[illegible] يا فقمت من فراشي ولم اكد اخرج من الخيمة الا وعقبه طلق اخر فثالث فرابع فنهضت الجنود مذعورة من نومها واذا بالحراس راكضة نحونا فعلمنا ان العدو قد وافانا ولم نمض خمس دقائق حتى كنا متحصنين بهذا الجبل وقد سال الوادي بالاعداء واحاطوا بنا من الجهات الثلاثة فدافعنا دفاع المستغيث ومقاتلة المستقتل وقد امرت نصف الجنود بالانسحاب الى الجبل الذي يليه وهو رفيع شامخ يشرف على مضيق لا يمكن العدو ان يأتينا الا منه فبعد وصلنا كلنا اليه شاهدنا جنود العدو قد صعدت على هذا الجبل ونصبت المدافع عليه فتيقنت حينئذ اننا هالكين فقلت لنتقهقر نصفا فنصفا كل منا يحمي الاخرين فانتدب حينئذ

احد الجنود وقال ان هذا الجبل شامخ وحصين ويمكنني ان اقابل العدو نصف ساعة على الاقل فاذهبوا انتم في حراسة الله وانا اكفيكم شرهم . ورغما عن رفض قبول ذلك صمم على نيته وقال لن اذهب من هنا فأنجوا بانفسكم . وكان الوقت يزداد حراجة والخطر يدنو بسرعة وقد بدأت المدافع تصب علينا نيرانها الهائلة فامسكته من يده وقلت له هلم واذهب معنا يابني ولا تغرر بنفسك فاما ان ننجو كلنا او نموت ولن اتركك هنا وحدك قط . فاجابني بجأش ثابت انج يا سيدي بأخوتي وخلصهم من الموت واني لم اخالفك حتى اليوم ابدا وهذه اول مرة اعصي فيها امرك فاغفر لي خطيتي هذه واني مصمم على البقاء وان احول عن عزمي .

واذ ذاك رأيت الجنود قد رجعوا الى مواقعهم وابوا ان يتركوا رفيقهم فنهض من مكانه وقال ايها الاخوان ان هذا يوم اريد ان اموت فيه وهذا جبل اريد ان اوارى في ترابه واقسم بالله ان لم تغادروا هذا المكان قتلت نفسي وذهبت عاصيا ربي فلا تحرموني رتبة الشهادة ولا تلقوني في هاوية لا اريدها لنفسي ولا تحبونها لي ثم اشار الى جهة الغرب بيده وقال لنا اذهبوا من هذه الجهة . وانكم ناجون بعون الله

فانسحبنا من الجبل ونحن نبكي دما على هذا الشهم الباسل وسمعنا صوته وهو يقول لنا استودعكم الله وبقينا ساعة ونحن نسمع هدير المدافع وزمجرة الرشاشات ثم هدأت بغتة فعلمنا انهم قتلوه .

وحينئذ هطلت دمعة كبيرة على خده فمسحها بيده وقطع كلامه لأن البكاء كاد يخنقه .

واستطرد كلامه بعد هنيهة قائلا ولقد نجونا كلنا بفضل بلائه لعيثن بنا ايدي الردى ونهشتنا نواجذ المنية فرحمة الله على ذلك الباسل الغضنفر وواسفاه عليه

ثم نهض من مكانه وقال اني ذاهب لافتش عن رفاته فمن اراد منكم فليتبعني . فنهضوا كلهم وساروا معه وهم سكوت كأن على رؤوسهم الطير . وما زال سائرا بهم حتى وصلوا الى قمة الجبل وهنالك رأوا كومة عظام وجمجمة انسان مكسورة وقربها مقدار وافر من ظروف الرصاص الفارغة وعقال بال .

فوقفوا عندها والتأثر باد على محيا الجميع وعلائم الحزن ظاهرة على سيماهم . وقال السيد راسم هذه هي رفات الشهيد وانظروا الى رأسه فان الاعداء كسروه بعد ان قتلوه فبئسا للوحشية والهمجية . وغدا سنبقى في التوينة لنواريه في التراب فوق هذا الجبل لانه هو اراد ذلك ثم خلع ردائه وجمع العظام كلها وحملها على عاتقه رافضا معاونة الضباط فوضعها في خيمته ثم جمع الجنود وطلب منهم ان يقرأوا ما يحفظون من القرآن الكريم والصلاة على نفس الشهيد وهكذا احيوا تلك الليلة يطلبون من الله المغفرة له والرحمة والرضوان وكان بين الجنود ثلاثين رجلا من المسيحيين فاقاموا قداسا عن نفس الشهيد طالبين من الرب يسوع ان يغفر له خطاياه لانه مات من اجل

امته واخوته .

ولما كان اليوم الثاني كفنوه وواروه في ذلك الجبل ووضعوا فوق رمسه علما عربيا .

* * *

٣

في وادي الحسا

تحركت المفرزة في صباح اليوم الثاني من الثوينة وسارت تقطع المفاوز وتجتاز الجبال . وقرب العصر دخلوا في مضيق كثير المياه تغشاه اشجار من الدفل مكسية ارضه بثوب سندسي يبهج الناظر وكان ذلك وادي الحسا .

وهذا الوادي هو مضيق عظيم يمشي السائر فيه يوما ومنه شعب ينتهي قرب بحيرة لوط وجباله شامخة رفيعة غريبة الشكل يصعب التسلق عليها .

فنزلت المفرزة قرب عين براقة من الماء ونصبت خيامها وذهب السيد راسم مع الضباط لتعيين مواقف الخفراء ما عدا السيد عبد الهادي فانه اعتذر بالتعب الشديد الذي اصابه وجلس قرب عين الماء يدخن بنرجيلته .

وفي منتصف الليل كان اكثر الجند غارقين في سبات عميق وبعضهم

كان يضرم النار ليغلي الشاي ويشربه ثم ينام .

واذ ذاك علا صوت يتكلم بالعربية بلهجة اعجمية قائلاً هاتوا عشرة خواريف تكليفات حربية للدولة العلية

فأجابه احد الجنود وقد ظن ان احد رفقائهم يمزح معهم وقال تعال الى هنا وخذ خمسة عشر لا عشرة .

وسمعوا اذ ذاك صوتاً باللغة التركية يأمر بالاستعداد وللحال طرقت آذانهم اصوات زلاجات البنادق وهي تفتح وتغلق .

فأسرع الجنود الى تقلد سلاحهم وذهب واحد منهم الى خيام الضباط يوقظها وصاح آخر افيقوا ايها الاخوان فان العدو قد دهمنا وحينئذ لمع برق عقبه صوت طلق ناري وتوالى الرمي مدة ربع ساعة ثم ارتفعت اصوات قائلة اقطعوا النار فقد امسكناهم .

وكانت الجنود العربية قد احتاطت بالقادمين وامسكتهم مسك اليد واذا هم خمسة عشر جندي من الاتراك وضابط .

من القطرانه الى الفريفره والحسا

قبل اربعة ايام من هذه الحادثة كان جميل باك يعطي الاوامر بالاستعداد للسفر وكان الضباط والجنود منهمكين في تهيئة ملابسهم ولوازمهم وفي الساعة الرابعة بعد الظهر وافى القطار من عمان وركبت الجنود فيه وبعد نصف ساعة تحرك من القطرانة فوصل الفريفرة وهناك نزل جميل باك ومعه خمسمائة جندي . وسار القطار الى محطة

الحسا وهنـالك نزل خمسمائة جنـدي اخر وكان تابي افندي بقي في الفريفرة مع جميل بك وعين جميـل باك الروز باشي اسحق افندي وكيلا عنه في محطـة الحسا وكان امره ان يخرج كشافين الى الامام كل ليلة .

في الرابع منذ وصولهم كانت نوبت الكشف على ضابط يسمى انور افندي فأخذ خمسة عشر جنديا وسار بهم نحو الواد .

ولاحت له نيران نشب فقال للجنود لا ريب بان بعض البدو نزلوا في الواد واني ارى الوقت سنح لنا بفرصة ثمينة وستشبعون بطونكم الليلة من اللحم واللبن .

فشكرته الجنود على احساساته العالية وساروا يتسابقون يأمون النار . ولمـا قربوا منهـا قال لهم الضابط من الذي يعرف ان يتكلم باللغة العربية منكم . فقال احـد الجنود وكان عظيم الجثة جهوري الصوت انا يا سيدي . فقـال لهم قل لهم انا اتينا نأخذ منكم عشرة خواريف تكاليف حربية باسم الدولة . فصاح الجندي بملئ صوته بما امره ضابطه وسمعوا قائلا يقول تعالوا وخـذوا خمسة عشر وللحال رأوا اناسا قاموا من امكنتهم وهرعوا الى خيامهم ثم خرجوا متقلدين اسلحتهم فقال الضابط لقد عرفونا واني ارى رجالا مرتدين ملابس عسكرية ولا ريب بانهم سينقضون علينا فاستعدوا ايها الجنود .

ثم اشهر مسدسه بيده واطلق رصاصة ثم تلته الجنود تمطر نيرانها القاتلة . ورأى الضابط رجالا يسيرون يمنة وشمالا ثم يتجهون نحوهم

فقال لجنوده خمسة منكم ترمي الى الامام وخمسة لليمين وخمسة للشمال وبدأ تبادل الرصاص حينئذ خمسة دقائق ثم لم يشعروا الا والجنود العربية فوق رؤسهم مشهرة الحراب فاستسلموا في الحال .

. . .

بزغ الفجر واطل قرن الغزالة وانتصبت الاسلاك الذهبية بين الشمس وطفلتها واسحق افندي ينتظر رجوع الكشافين ولكن عبثاً كان ينتظر فانهم لم يعودوا ولن يأوبوا .

وارسل خمسين جندياً تفتش عليهم فعادوا بعد ساعة يخبرون انهم لم يقفوا لهم على اثر .

فقال اسحق افندي هل ابتلعتهم الارض ام جذبتهم السماء . ثم اسرع الى غرفة البرق وبعث برقية الى جميل بك الذي كان في الفريفره يخبره بما وقع .

وكان علي افندي حينئذ جالساً في غرفة البرق فأطلع على البرقية الواردة فرقص فوآده فرحاً وقال لقد حان اليوم الذي اتخلص فيه من الزعانف الأغرار .

ولما قرأ جميل بك البرقية كاد يجن من الغيظ فأرسل الى عمان البرقية الآتية .

الى قائد منطقة عمان

المظنون ان قوة من العدو اتت الى وادي الحسا لان كشافينا لم يعودوا منذ الأمس والمظنون انهم اسروا فأرجو ان ترسلوا غداً

الطيارات لتكشف .   جميل

فوافاه الجواب انه سنرسل الطيارات صباح الغد .

واما علي افندي فأنه كان في خيمته يبدل ملابسه والفرح يقيمه ويقعده .

. . .

في منتصف الليل

خرج علي افندي من خيمته في منتصف الليل ثم التفت الى ما حوله وتبسم وسار مسرعا .

وما كاد يبعد عن خيمته قليلا حتى اوقفه صوت قائلا له مكانك ان تجاوز المنطقة ممنوع . فعرف ان ذلك صوت الخفير فقال له انا علي يا بني اتيت افتش على الخفراء فهل رأيت شيئاً يوجب الريبة

— كلا يا سيدي

— انظر جيدا الى الأمام فأني ارى اشباحا تلوح عن بعد

فوجب قلب الجندي خوفا واطال النظر ثم قال ولكني لا ارى شيئاً يا سيدي .

فأنتهره علي افندي قائلا يا احمق ثم انه دنى منه ومد يده مشيرا الى مرتفع بعيد وقال له انظر جيدا الى هذا المرتفع الذي يقابلنا فأن فيه اشباح تلوح تظهر وتختفي وتسير يمنه وشمالا

فقال الجندي لا ريب بأنك صادق يا سيدي ولكني لم ار احدا وها انا ذاهب لأخبر العريف (اونباشي) بالأمر .

وترك الخفير مكانه واسرع الى عريفه ليخبره وبعد هنيهة عاد به وقال له لقد قال الضابط علي افندي ان اشباحاً تظهر فوق هذا المرتفع ولكني لم ار احدا قط .

فقال العريف بعد ان اطال النظر ودقق جيدا

— وانا ايضاً لا ارى احدا . ولكن لا . الا ترى هذا الشبح الذي يبتعد عنا مسرعا

— اين هو

— ها هو يبعد عنا مقدار كيلومتر واحد

— آه . اظنه علي افندي .

— ولأي شيء ذهب

— لا ادري ربما ذهب ليدنو من المرتفع جيدا ويعرف ان كان عليه احد ام لا

— لا اظن انه يخاطر بنفسه من اجل ذلك

— اذا

— اذاً لا ريب بانه احتال عليك ليبعدك من مكانك وقد فر الآن

— ويلاه ماذا يفعل بي جميل بك غدا اذا عرف بالأمر

فلم يجبه العريف بل تركه ومضى ثم عاد بخفير آخر واوقفه مكانه وقال للجندي انك مسجون الليلة .

فبكى المسكين من خوفه وقال له مسترحما ماذا اذنبت انا يا احمد اونباشي فبالله عليك لا تظلمني . فانتهره العريف ثم صفعه صفعة شديدة وقال

له هيا الى السجن

. . .

مـا كاد يغادر الخفير مكانه حتى اسرع علي افندي يركض تارة ويهرول اخرى الى ان ابتعد عن المحطة كثيراً وقد اندمج في غيهب الظلام فلم تعد تمكن رؤيته من المحطة .

وحينئذ التفت نحو المحطة ورآها كالخيال تغيب شيئا فشيئاً عن عينه فقال لقد آن وقت مناقشة الحساب ايها الأنذال فأستعدوا

وتسلق على جبل شامخ فشاهد النيران تشب عن بعد فكاد يطير من الفرح وقال هذا هو وادي الحسا .

ثم انحدر نحو الواد وجد في مسيره وبعد ساعتين تمكن من رؤية اشباح تسير جيئة وذهابا قرب النار . واذ ذاك طرق آذانه صوت رفيع يقول باللغة العربية مكانك ثم عقب ذلك صوت حركة سلاح فوقف ومد نظره فرأى رجلا واقفاً عن بعد ثلاثمائة مترا مسددا بندقيته نحوه وسأله قائلاً من انت

— ضابط عربي فررت من الفريفرة هذه الليلة واتيت اليكم .

— ما اسمك

— اسمي علي

— من اي مدينة

— من الشام .

— ارفع يديك وابسط كفيك ثم آت الي .

ففعل ما امره به الحارس ولما وصل اليه قال له مرحبا بك يا ابن العرب لقيت اهلا ونزلت سهلا ثم اخرج من جيبه صفارة فنفخ فيها وللحال وافاه جنديان فقال لهما هذا السيد التجأ الينا وهو ضابط عربي فر الليلة من الفريفرة فخذوه الى السيد راسم .

ثم قال له تفضل يا سيدي . فسار السيد علي صحبة الجنديين حتى وصلوا الى خيمة كبيرة وعندها حارس فقال لهم ماذا تريدون الآن — اتى ضابط عربي من جيش الاتراك فأيقظ السيد راسم ليراه

وكان السيد راسم قد استيقظ من نومه فصاح ليتفضل ثم اشعل الشمعة واستوى قائماً . فدخل السيد علي فقبلا بعضهما ورحب السيد راسم به وامر الخادم ان يغلي شايا وان يحضر قهوة فشكره السيد علي وجعل يقص عليه خبره وكيفية فراره وقال له ان القوة الموجودة في محطتي الفريفرة والحسا تبلغ الألف ولكن قوتها الأدبية منكسرة للغاية وضعيفة للنهاية وانهم ليرتجفون هلعا ورعبا اذا ذكر اسم جيش العرب لديهم . ثم قال اريد ان آخذ معي غداً مقداراً من الجنود وانسف القطار الذي يأتي كل يوم من القطرانه وقت الزوال .

ثم قال الحق يقال انني تعبت الليلة جداً .

وتناول الشاي الذي قدمه له الخادم ثم قال ماذا فعلتم بالضابط والخمسة عشر جنديا .

فتبسم السيد راسم وقال له غدا تراهم اذا شئت

ثم انه اضطجع على فراشه ونام نوماً هادئاً .

. . .

ولما انتصف النهار وحسرت الغزالة عن قناعها افاق السيد علي من نومه فرأى الرجال جالسين في الخيمة وهم يتكلمون همساً لئلا يوقظوه فقام معتذراً من تأخره بالنوم .

ومن ثم قدم السيد جاسم شباب القرية واحداً فواحداً وعرفه بهم وجلسوا يتجاذبون اطراف الحديث ويشربون الشاي فقال السيد شريف الزهبي ان فرارك من الجيش التركي صار سهلاً للغاية اذ لم يسلم احد غيرك من الفارين من النهب والسلب وكلهم يأتون حفاة عراة .

فقال السيد محمود الهندي وكان شاباً يبلغ الثانية والعشرين من عمره قصير القامة عبلاً ممتلئ الجسم اصفر اللون كبير الرأس انني ايضاً لما فررت وصلت بملابسي كاملة لم ينقصني شيء .

فقال له السيد صبحي مازحاً حسب عادته لو ان ثيابك تساوي درهماً واحداً ما بقيت عليك .

وكان السيد محمود الهندي عصبياً للغاية يحنق للسبب التافه ويغضب لأقل شيء فتوغر صدره غيظاً وقال له :

— صبحي ان تمزح معي تندم فأنصحك ان لا تفعل .

— لماذا تنكر يا محمود رثاثة ثيابك وحقارة ملابسك وهل في ذلك عيب او عار .

- صبحي اقول لك ان تصمت خير لك .
- انني لا استطيع السكوت عن الحق .

ولم يعد يستطيع السيد محمود التغلب على غيظه فوثب من مكانه وامسكه من شعره ثم عضه في اذنه ورفسه برجله وهو يقول له ابوك وجدك وجد جدك لم يرتدوا مثل ملابسي .

فاجابه السيد صبحي نعم ولكن في القذارة . -

وحينئذ ترك السيد عبد الهادي النرجيلة من يده وقام ليمسك السيد محمود واما الباقون فقد كاد يغمى عليهم من الضحك وبعد جهد جهيد اجلسه السيد عبد الهادي وناوله لفافة تبغ قائلا له لا تغضب من المزاح يا اخي وكن مثلي ولا تهتم بشيء قط

وقطعوا حديثهم وضحكهم فجأة لان اصوات طيارات طرقت آذانهم فأنصتوا قليلا ثم خرجوا من الخيمة واذا بأربع طيارات تلوح عن بعد فقال السيد راسم فرقوا الجنود عن بعضها فان الطيارات مقبلة نحونا .

وكانت الابل لا تزال في مباركها معقولة فأسرعت الجنود اليها تفك عقالها ولكن الطيارات ادركتهم قبل ان ينتهوا من عملهم . وهبطت الطيارات من ارتفاعها وكانت قد شاهدت الجنود يسيرون يمنة وشمالاً في الواد فرمت قذائفها عليهم .

وقابلتها الجنود بنار حامية وقهقهت الرشاشات بشبوب نار الوغى ولكن الطيارات كانت تدنوا منهم رويداً رويداً غير مبالية بزمجرة

الرشاشات ورعد المدافع .

وكان الوادي ضيقاً منبسطاً فتمكنت الطيارات من مشاهدت الجنود والابل جلياً ثم رمت مقذوفاتها الهائلة بدون انقطاع فسعرت الوادي ناراً وسطع الرهج لقوة انفجارها ودام الحرب ثلث ساعة كانت كأنها دهر طويل ثم انقشعت عن سماء الوادي .

فقامت الجنود من امكنتها وصاح احدهم هازئاً نحن محفوظات بالشياطين والابالسة .

ثم اجتمعوا حول ضابط وجندي شهيدين رحمة الله عليهما وواروهما في التراب ونقلوا المجاريح وكانوا ثلاثة الى مستشفاهم الصغير .

من عجائب الحرب ان المرء لا يحفظ في ذاكرته التأثرات الطارئة من رؤية مناظرها الفجيعة فلو انه رأى افجع المشاهد وافظع المناظر وافظعها ولا تراه بعد نصف ساعة جالساً مع رفقائه يحادثهم ويمازحهم وقد تمر تلك الحادثة فيذكرونها بدون مبالاة .

وهكذا كان اخواننا في وادي الحسا ينشدون الاناشيد ويتغنون ويتمازحون بسرور وقت قصير على تلك الحادثة .

وفي الساعة الرابعة من النهار امر السيد راسم المفرزة بالاستعداد للسير وبعد نصف ساعة كانوا راكبين هجنهم وسائرين نحو الشمال فمشوا شوطاً بعيداً ثم انعطفوا شرقاً وبعد مدة وجيزة كانوا امام الخط الحديدي . فقال السيد علي هاهنا يا سيدي . فوقف السيد راسم وامر الجنود بالنزول الى واد قريب وهنالك عقلوا ابلهم ثم

انتشروا على الجبل ومن ثم تقدم السيد يوسف الزغبي ضابط التخريب ولغم المحجة بالديناميت ثم وصله بسلك مربوط بالكباس الكهربائي وجلس بعيداً عن الخط مقدار مائة متر .

ومرت ساعة على ذلك الحال ثم ارتفعت اصوات الجنود قائلة هاهو القطار قد اقبل .

ولاح القطار عن بعد كنقطة سوداء ثم ظهر ينساب كالأفعوان ملتويا يمنة ويساراً وبعد ربع ساعة كان قريباً منهم ينفث دخانه الاسود مزمجراً راعداً وما كاد يصل المكان الملغوم حتى سمع صوت انفجار مريع عقبه اصوات اصطدام الاجسام الحديدية ببعضها وضوضاء عظيمة وللحال اطلقت الجنود الرصاص على القطار وكان قد تحطم وانحرف عن المحجة وهجمت البدو على القطار وفي دون لحظة كانت ابلهم تحمل الغنائم وقد صفوا الركاب زوجاً زوجاً وساقوهم امامهم . وبعد قليل كان الدخان يتصاعد الى عنان السماء والسنة النيران تمتد وتزداد التهاباً وكان قد احرقوا الشاحنات .

كان جميل بك جالساً في صباح ذلك اليوم في غرفته فسمع اصوات قذائف فخرج مبتسماً منها . وبكل السرور امسك منظاره بيده وجعل يترصد الطيارات التي كانت تحوم فوق وادي الحسا . وكان قد دنى منه حينئذ اليوزباشي خليل الجندي فقال له اربعة طيارات ترمي قذائفها دفعة واحدة على الاعداء فيا لجمال هذا المنظر وليتني كنت

في مكان قريب منهم اشاهد ما يفعلون الان . فتبسم جميل بك وقال انهم يرمونها بالمدافع .

— ليرموها بالشياطين اذا شاؤوا .

— لقد دنت الطيارات من الارض كثيراً واني لأخاف ان يصيب احداهن مكروه .

— حماها الله من ذلك .

ثم رأوا الطيارات ترتفع رويداً رويداً مبتعدة عن الوادي حتى وصلت الى محلة الفريقة وهنا انسفت احداهن من الارض والقت ورقة وسارت الطيارة تعقب الخيمة قاصدة عمان .

ورأى جميل بك الورقة ساقطة فأمر احد الجنود فأسرع واتى بها وكان فيها مكتوباً :

(خسارة العدو فادحة جداً اظن انهم سيعودون من حيث اتوا .)

وبينما كان جميل بك يطلع ضباطه على الرسالة اتاه العريف الموظف وقال له فر علي افندي ليلة الامس يا سيدي . فالتفت جميل بك اليه وقال وقد ادهشه هذا الخبر كيف فر .

— ذهب الى احد الخفراء وقال له انني ارى اشباحاً تلوح فوق الجبل ثم ارسله ليخبرني بذلك واغتنم فرصة غيابه وفر .

— ويل له من شيطان مارد . وكيف ترك الخفير مكانه .

— لقد سجنته منذ تلك الساعة يا سيدي لمغادرته موقفه .

— نه . ماذا نفعل .

فقال خليل افندي .

— من المحال ان يبقى هذا معنا ولو لم يفر اليوم لهرب غداً وحسناً فعل بذهابه لأننا امنا من خيانته .

— صدقت ولقد كنت خائفاً جداً من ان يكون عيناً علينا يطلع العدو على حركاتنا وسكناتنا .

— لقد فكرت في هذا الامر واردت ان اكاشفك بذلك ولكن منعني ما كنت اراه من تقريبك اياه واظهار الحب اليه .

— اتظن انني كنت احبه . لا والله وانما كنت اصانعه واتكلف مجاملته لاكون دائماً بقربه واتمكن من مراقبته بدقة فلا ادعه يصنع شيئاً يعرقل اعمالنا . وسأرسل الان برقية اخبر بفراره لكي تبعد اسرته الى البلاد الاناضولية فتذوق هناك غصص الآلام وانواع العذاب واما هذا الجندي الذي غادر موقفه فأنني سأحيل دعواه الى الديوان الحربي يحكم عليه بما يأمر به القانون .

ثم انهم جلسوا يتحادثون بامور شتى واذ ذاك دخل مامور البرق وسلم جميل بك رسالة برقية واردة من القطرانة تنبأه بحركة القطار منها قاصداً الفريفرة . وبعد نصف ساعة سمع صوت عظيم عقبه طلق متتال فأسرع جميل بك بالخروج من الغرفة قائلاً اترى الطيارات عادت الى وادي الحسا وتبعته الضباط وحينئذ اصفرت وجوههم جميعاً واصطكت اسنانهم من الرعب ومدوا ايديهم نحو القطار وكان قد انفجر اللغم حين مروره عليه واندلعت السنة اللهيب لان العرب

احرقوه كما قدمنا .

فقال جميل بك نضباطه اسرعوا ايها الاخوان الى الاستحكامات مع جنودكم فأني لا اظن العرب ستهاجمنا الان .

. . .

٤

قال السيد علي لسيد راسم اريد ان ارى الاسرى الذين امسكتموهم في المرة الاولى يا سيدي .

فاجابه السيد راسم حباً وكرامة .

ثم انهما سارا سوية الى خيمة كبيرة فدخلاها وهنالك رأى الخمسة عشر جندياً فهبوا جميعهم واقفين وانكبوا على ايدي السيد علي يقبلونها قائلين له كم نحن فرحون برؤيتك يا ضابطنا ولم نعد مهددين بالموت لانك بدون ريب ستدافع عنا .

فقال السيد راسم باسما وهل كنتم تنتظرون منا ان نقتلكم

— كلا يا سيدي انا نخاف من البدو فقط .

— اطمئنوا اذن لان البدو عرب تأبى سجاياهم العالية قتل اسيرهم .

فدعوا لهم بالفوز والنصر .

ثم خرجا من عندهم ودخلا الى خيمة الضابط انور افندي وكان مضطجعاً على فراشه فهب مذعوراً لرؤية السيد علي ولكنه تغلب على خوفه وقال له بصوت هادئ اخذوك اسيراً ايضاً

فأجابه السيد علي هازئاً اني اثبت ايها السلطان لأخذنهم عشرين خروفاً تكاليف حربية للدولة العلية وعشرين خروفاً آخر لاعتقالهم حضرات والجنود الذين معك . فاعتقلوني ايضاً . ولا ريب بان الدولة لا تغفل عنا وعن الخرفان وغداً سترسل آخرين لتأخذ الضريبة والجزاء النقدي وتحيق بهم اعظم البلايا لتجرئهم على اهانة مأموري الحكومة وضباطها .

فتأوه انور افندي وقال ارجوك يا علي افندي ان لا تنسى مودتنا القديمة وان تعفو عن القصور الذي سبق مني والهفوة التي بدرت عن غير قصد ونحن في ساحة التبارانة حيث كنت ثملاً فاقد الصواب من شدة السكر . فأجابه السيد علي انك كنت يا انور افندي عدواً لدوداً لي ولو صادفتك حراً مطلقاً او في ساحة حرب لما رجعت عنك واحدنا حي واكنك واسفاه اسير وفي ذمة العرب وانما لذمة لا تغفر والعرب لا تسيء ولا تقبل ان يساء الى اسيرها الضعيف وتلك احدى مكارم اخلاقهم وحميد اوصافهم وحميد افعالهم واعلم بانني لا اشعر نحوك في هذه الساعة الا بعوامل الشفقة والرحمة وقد انتزع ما كان مغروساً لك في قلبي من البغض والشقاق لانك اصبحت عاجزاً قليل الحول لا تستطيع ان توصل الي ضرراً او اذى وانما معاشر العرب نصفح عن الضعيف ونطأ هامة العزيز القوي وتلك ايضاً احدى الشيم الغراء التي ورثناها عن آبائنا الكرام واجدادنا العظام فلا تخش يا انور افندي شيئاً لانك اصبحت اسيرنا وكرماً اصفح عن سيئاتك الكثيرة .

ثم انه ناوله جنيهين وقال له انفقهما ايها الصديق على ما يلزمك وسأهتم براحتك كثيراً .

ثم خرج من الخيمة بدون ان ينتظر الجواب ولو بقي ساعة لم ينطق انور افندي ببنت شفة لان ما اصابه من الذهول والحيرة من كلام السيد علي عقل لسانه .

وبعد خروجهما من الخيمة قال السيد راسم بعد نصف ساعة ستذهب الضباط برفقتي للكشف في محطتي الحسا والفريفرة اذ قد عولنا على الهجوم عليهما غداً فهل تود الذهاب معنا .

— كيف لا

ووجدا الضباط مجتمعين حول العين والسيد عبد الهادي يدخن بنرجيلته فقال له السيد راسم مازحاً لقد آن ان تترك النرجيلة فأنا ذاهبون بعد نصف ساعة للكشف .

— وانا اتركها بعد نصف ساعة .

فقال السيد صبحي لقد عجزنا والله من صوت فرقرتها وكركرتها

فأجابه السيد محمود الهندي ان لم يرق لك الجلوس معنا فالصحراء واسعة .

وكانت الجنود قد هيأت الخيل للركوب وبعد قليل كانوا ممتطين صهواتها يجرون في الوديان .

وبعد ساعة صعدوا على جبل شامخ فظهرت امامهم محطة الجيدة ورأوا الجنود منهمكين بحفر الخنادق والاستحكامات فقال السيد

راسم مخاطباً السيد حسين المدفعي : على هذا الجبل ينبغي ان نضع مدافعك غداً وكان السيد حسين ضابطاً باسلاً مقداماً وكان في ابتداء امره جندياً ولم يزل يرتقي في المراتب العسكريـة حتى صار رئيساً وهو بسيط القلب لا يحمل الضغينة شديد الحرص على رضاء اصدقائه لا يسيء الى احد منهم .

فقال للسيد راسم ارى ان اضع مدفعاً على هذا الجبل ومدفعاً على الجبل الايمن وبذلك نرمي العدو من امامه وجانبه .

فوافق السيد راسم على ذلك ثم قال هلم بنا نذهب الى الفريفرة . وشاهدوا الاتراك وهم يعمرون مـا تدمر من المحجـة و يصلحون القطار المعطل .

ولما قربوا من محطة الفريفرة وقفوا يشاهدون الاعداء وهم يحفرون الخنادق فقال السيد عبد الهادي انهم يحتفرون قبورهم بأيديهم

وكان العدو قد لمحهم فأطلق عليهم الرصاص . فأبتعدوا قليلاً عن منطقـة الرمي وبقوا هنـاك مقـدار ساعة حتى عرفوا مواقع الاستحكامات ثم عادوا الى وادي الحسا .

• • •

٥

في اليوم الثاني

ما حسرت الغزالة عن قناعها وتجلت في برج عظمتها الا وصوت مدفع يدوي في الفضاء ثم اهتز بناء محطة الحسا لان القنبلة انفجرت قريبة منها فهبت جنود الاتراك مذعورة من هذه المباغتة وصاح اسحق افندي الى الخنادق الى الخنادق وبعد ربع ساعة كانوا في استحكاماتهم ينتظرون ابتداء الهجوم ليقابلوه وهم يرتعدون من الخوف والجزع قانطين من الحياة .

واسرع اسحق افندي الى غرفة البرق ليخبر الفريقرة ولكن الاسلاك كانت متقطعة فرجع يائساً وهنالك شاهد جنود العدو منتشرة فوق الجبال ومنحدرة نحو المحطة ورأى البدو مقبلين اليها بسرعة زائدة فصاح بجنوده اطلقوا النار ويلكم .

فأجاب ندائه خمسمائة بندقية صبت من فوهاتها نيرانها الهائلة وقابلها المهاجمون بمثلها واشتدت الملحمة وعلا صوت قهقهة الرشاشات كأنها تسخر بالقتال وحمي وطيس الحرب وكان المهاجمون لا يبرحون يتقدمون في كل لحظة رغم ما يسكبه اعدائهم عليهم من وابل رصاصهم وقد وصل الصف الاول منهم الى بعد مائة متر من المحطة وتواردت الصفوف متتالية وصاح السيد راسم شكوا الحراب ولما رأت جنود الاتراك الحراب تلمع امطروهم ناراً حامية وصاح اسحق افندي اذا

هجموا فقابلوهم بالحراب فشكوا حرابهم ابداً وارتفع صوت السيد راسم قائلاً استعدوا للوثوب . . . ! ! ! . . . هجوماً . . . . ! !

وحينئذ قام صف متراصف كالبنيان المرصوص يتقدمه خمسة ضباط مشهرين مسدساتهم بأيديهم وقد ركضوا الى الامام غير مبالين بما يقع منهم من الجرحى والقتلى واشتد رمي الرصاص اربع ثوان اشتداداً هائلاً ثم انقطع بغتة وعلت اصوات الانين والاستغاثة يتخللها رنين الحراب وهي تصطدم ببعضها وقد قامت جنود الاتراك تحارب اعداءها برؤوس الحراب . ودامت الموقعة خمس دقائق امتلأت الاستحكامات بظرفها من جثث القتلى واذا باصوات عالية وصياح شديد وزعيق وصراخ دام قليلاً ثم سالت الوديان بخيالة البدو واندفعت الفرسان على المحطة ولما رأى اسحق افندي ذلك رفع راية بيضاء وامر جنوده بالكف عن القتال واستسلموا .

وكانت الوقعة هائلة جداً وجثث القتلى منثورة على الارض وكثير منهم كان يفتح فمه ثم يطبقه وقد جحظت عيناه وظهر الزبد على شدقيه وهو يسلم نفسه الاخير .

ثم ان السيد راسم امر ببقاء نصف القوة في مكانها لتمنع ما قد يأتي من الامداد من محطة الجرف واخذ القوة الباقية وسار قاصداً محطة الفريفرة .

. . .

في الجروف

كان سالم افندي اليوزباشي في محطة جروف الدراويش يرسل البرقية تلو الاخرى الى محطة الحسا ولكن لم يكن ليجيبه احد . وبعد قليل سمع اصوات المدافع فصعد على الجبل بعد ان اوصى ضباطه بالتيقظ والتبصر وامرهم باشغال مواقعهم الحربية . غير انه لم يتمكن من رؤية شيء غير بناء المحطة ولكنه شاهد غباراً مرتفعاً فوقها . فخابر محطة الغذة وكانت القوة المركزية للمحطات فيها فوافاه الجواب : ان حضر فصيلاً (طاقم) من جندك اتركب بالقطار الذي يصل الى محطتكم بعد ساعة حاملاً مائة جندي امداداً لمحطة الحسا .

وبعد ساعة وصل القطار فأمر السائق بسرعة السير لان المحطة على وشك السقوط ولم يكد القطار يجتاز المحطة الا وكانت السنة النيران تندلع من محطة الحسا وقد حجب الدخان نور الشمس عنها وكان العرب قد احرقوها .

وبينما كانت القوة التي ابقاها السيد راسم تشغل المواقع اللازمة اذ صاح احدهم ها هو القطار مقبل من محطة الجرف .

وظهر القطار ينساب كالأسود . وحينئذ اقام الضابط الرشاشات في مواقعها وامر الجنود بلازمة مواضعها ثم ركب جواده واسرع الى البدو وقال لهم ها هو القطار قادم نحونا فعليكم به يا اهل الهمة .

وكان القطار قد وصل الى قرب محطة الحسا ووقف وبدأت الجنود تنزل منه فلم يشعروا الا وفرسان البدو بينهم تصيح يا للثار وقد ملاؤا

الفضاء بصياحهم وزئيرهم فأسرعت الاترال للركوب في القطار ورجع ادراجه يسابق الرياح وتبعته الفرسان ربع ساعه ثم عادوا عنه .

. . .

وصل السيد راسم الى محطة الفريفرة ورتب جنوده للهجوم وامر المدافع ان تطلق نيرانها . وكان العدو قد عرف من قبل انهم سيأتون فأتخذ التدابير الشديدة واشغل بجنوده الخنادق بحكمة ودراية .

وقد عرف السيد راسم ذلك فأمر جنوده بأطلاق النـار دون ان تتقدم وبقي كذلك حتى جن الغسق والتحفت الارض بأديم الظلماء. فأنتخب ستين نفراً وقسمهم الى قسمين بعد ان قال لهم اننا ذاهبون الان لنرمي الاعـداء بالقنابل اليدوية وهم في خنادقهم فكل قسم منكم سيذهب من جهـة ومتى رأيتم رصاصة تنويرية خضراء اللون فأرموا قنابلكم سوية

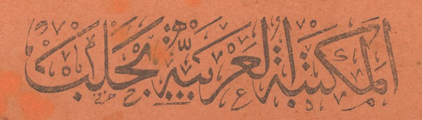
واني ذاهب مع القسم المتقدم من جهة الجنوب والسيد عبدالحليم وعلي من جهة الشمال .

ثم ان الجنود خلعت احذيتهـا ومشيت رويداً رويداً من الجهتين حتى قربوا من استحكامات العدو ولم يستطع رؤيتهم لشدة الظلام وانتظروا حيناً من الزمن واذا برصاصة خضراء تخترق ستار الظلماء ولم تمض ثانيتان على ذلك حتى سمعت اصوات هائـلة وامتد ذلك دقيقتين ثم انفرجت عن ولولة عظيمة وغوغاء مريعة واطلق الرصاص من كل جهة على غير هداية وبعد قليل كانت البدو هاجمة كما امرت

قبلًا فعلى الصياح وارتفع الصراخ ودام ذلك ربع ساعة . ثم سكت الضوضاء وكانوا قد امسكوا الاعداء بالأيدي فلم ينج منهم احد وهكذا رجعت المفرزة الى وادي الحسا ظافرة مكلل رأسها بتاج النصر متهللة الوجه للفوز الباهر الذي انالها الله اياه .

﴿ تمت الرواية ﴾





باب الادب

الكتب هي الغذاء الادبي ولا اغالي اذا قلت ان الانسان احوج اليها من غذائه المادي وكما ان من واجبات الانسان الاعتناء بغذائه طلبا للصحة وردا لهجمات الامراض فواجبه الاكيد الاقتناء والاعتناء بذلك الغذاء الادبي سعيا وراء صحة الفكر وطلبا لنشوءه الكامل.

ادر ايها الشاب نحو المكاتب طرفة عين ترى فيها ما يفيدك من من الكتب الحديثة والقديمة من تاريخية ، وعصرية ، فيلذ لك ان تاخذ منها ما تشاء ويشاء ذهنك الواسع من الامور التي تنفعك اينما كنت وحللت . الكتب الادبية هي الغذاء الوحيد للشاب فاذا علمت ذلك فلا يسعك سوى طرق باب المكاتب التي تحتوي على انفس هذه الكتب المفيدة ومن هذه المكاتب ⁂ المكتبة العربية ⁂ في شارع السويقة نمرة ٢٠ و ٢١ فاذا شرفتها بزيارتك تجد ما يسرك وينفعك بوقت واحد

